مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
King Faisal Center for Research and Islamic Studies

مجلة الدراسات اللغوية

المجلد الخامس والعشرون - العدد الثاني (ربيع الآخر - جمادى الآخرة ١٤٤٤هـ / نوفمبر ٢٠٢٢م - يناير ٢٠٢٣م)

فصلية محكمة تعنى بدراسة النحو والصرف واللغويات والعروض

- بطلان نظرية المدارس النحوية وأثرها في الدرس النحوي
- مَسْأَلَةٌ مِنَ التَّعَجُّبِ – تَأْلِيفُ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ القَاسِمِ بْنِ الأَنْبَارِيِّ (ت ٣٢٨هـ)– دراسة وتحقيق
- أسماء الإمارات والمحافظات في المملكة العربية السعودية – دراسة لغوية
- تحليل البنية النّصيّة لأدب الطفل السعودي: قصّة «صُنْع يدِي» نموذجاً: مقاربة لسانية نصّية
- ألفاظ يمنية وأمازيغية ؛ قراءة في كتاب «حول عروبة البربر»
- دعوى التصحيف في اسم المكان (ظريب)
- تجربة المجلات اللغوية العربية في ضبط المعايير وقواعد النشر

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
King Faisal Center for Research and Islamic Studies

مجلة الدراسات اللغوية

رئيس التحرير
تركي بن سهو العتيبي

مدير التحرير
خالد بن سعود العصيمي

فصلية محكمة تصدر عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

المجلد الخامس والعشرون - العدد الثاني
(ربيع الآخر - جمادى الآخرة ١٤٤٤هـ / نوفمبر ٢٠٢٢م - يناير ٢٠٢٣م)

ترخيص وزارة الإعلام: ٤٧٠٩/أ/د
ردمد: ٨٥١٣-١٣١٩ الإيداع: ٢٠/٩٨٢

المحتويات

- بطلان نظرية المدارس النحوية، وأثرها في الدرس النحوي
  محمد بن عبد الله السيف ٥
- مَسْأَلَةٌ مِنَ التَّعَجُّب - تَأْليفُ أَبي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ القَاسِمِ بْنِ الأَنْبَارِيِّ (ت ٣٢٨هـ) - دراسة وتحقيق
  أبو وداد سالم شرابي ٦٧
- أسماء الإمارات والمحافظات في المملكة العربية السعودية منطقة الرياض، والمنطقة الشرقية، ومنطقة مكة المكرمة - دراسة لغوية
  فاطمة بنت عبد العزيز العثمان ١٣١
- تحليل البنية النّصيّة لأدب الطفل السعودي قصّة «صُنع يدِي» نموذجا: مقاربة لسانية نصّية
  زكية محمّد المولدي السّائح ٢٠٧
- ألفاظ يمنية وأمازيغية؛ قراءة في كتاب «حول عروبة البربر»
  عباس علي السوسوة ٢٧٣
- دعوى التصحيف في اسم المكان (ظريب)
  عايض بن محمد القحطاني ٣٠٣
- تجربة المجلات اللغوية العربية في ضبط المعايير وقواعد النشر
  خالد بن سعود بن فارس العصيمي ٣١٣

عنوان المراسلة

مجلة الدراسات اللغوية
ص.ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣ المملكة العربية السعودية - ناسوخ ٤٦٥٩٩٩٣
Journal of Linguistic Studies
P.O. Box 51049 Riyadh 11543 Saudi Arabia - Fax:4659993
البريد الإلكتروني
Arabic1433@kfcris.com Arabic1433@gmail.com

هيئة التحرير:

سيف بن عبد الرحمن العريفي
عبدالرحمن بن محمد العمار
فريد بن عبد العزيز السليم

الهيئة الاستشارية للتحرير:

- **إبراهيم بن سليمان الشمسان** ..... أستاذ النحو في جامعة الملك سعود.
- **بدر بن محمد الجابري** ..... أستاذ النحو في الجامعة الإسلامية.
- **سعد عبدالعزيز مصلوح** ..... أستاذ اللسانيات في جامعة الكويت.
- **عبدالرزاق بن فراج الصاعدي** ..... أستاذ علم اللغة في الجامعة الإسلامية.
- **عبدالله صالح بابعير** ..... أستاذ النحو في جامعة حضرموت.
- **عياد بن عيد الثبيتي** ..... أستاذ النحو في جامعة أم القرى.
- **فايزة بنت عمر المؤيد** ..... أستاذ النحو في جامعة الإمام عبدالرحمن الفيصل - الدمام.
- **محمد بن يعقوب تركستاني** ..... أستاذ علم اللغة المتفرغ.
- **محمودأحمد السيد نحلة** ..... أستاذ العلوم اللغوية في جامعة الإسكندرية.
- **مسعود صحراوي** ..... أستاذ اللسانيات في جامعة الأغواط بالجزائر.

ضوابط النشر:

١- أن يكون البحث ضمن اختصاصات المجلة، وهي الدراسات النحوية والتصريفية واللغوية واللسانية والعروضية.

٢- أن يكون البحث متسماً بالأصالة، وفيه جدة وابتكار.

٣- ألا يزيد البحث على خمسين صفحة متضمناً ملخصاً له.

٤- إرسال نسختين من البحث إحداهما بصيغة Word والأخرى بصيغة pdf على بريد المجلة المذكور على غلاف المجلة.

٥- ألا يكون البحث منشوراً، أو مستلاً من عمل علمي سابق، أو مقدماً للنشر في مجلة أخرى.

٦- دقة التوثيق والتخريج، وأن تكون هوامش كل صفحة أسفلها.

٧- أن يكون البحث مذيلاً بالمراجع كاملة البيانات.

٨- أن يكون البحث باللغة العربية.

٩- يلتزم الباحث بمراجعة بحثه وتصحيحه من الأخطاء اللغوية والكتابية بعد قبوله.

١٠- البحوث المقدمة للنشر ما لم ترد من المحكمين والمقبولة والمنشورة لا يجوز نشرها بغير إذن سابق من المجلة.

كل ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه

أولاً : البحوث والدراسات

بطلان نظرية المدارس النحوية

وأثرها في الدرس النحوي

إعداد:

محمد بن عبد الله السيف

الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية وآدابها

كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية - جامعة القصيم

• **الملخص:**

تعتمد أغلبُ الدراساتُ النحويةُ الحديثةُ وخاصة في تاريخ النحو وأصوله وتراجم أعلامه على تصنيف الفكر النحوي العربي إلى مدارس نحوية ذات مناهج خاصة وأصول مختلفة، نتج عنها تصوير مواقف البصريين والكوفيين متباعدة خاصة في التطبيقات وتخريج الشواهد قبولاً ورفضاً وقياساً، ثم نتج عن ذلك توسيعُ دائرة الخلافات بينهما في المسائل النحوية. في حين رفض هذه النظرية قلةٌ قليلة من الدارسين.

لذا سعى البحث إلى تتبّع هذه النظرية تاريخياً، وذكر القائلين بها والرافضين لها، ثم توجّه إلى عرض منطلقات القائلين بها في ذلك، ثم توصل إلى بطلان نظرية المدارس النحوية بعدة أدلة، ولعدة آثار سلبية في الدرس النحوي، وأنها لا تحمل سمات المدارس الفكرية والعلمية ولا مقوماتها المعتبرة في تصنيف الفكر والآداب، مرجعاً الأمر كلَّه إلى أنّ البصرة والكوفة مجردُ مراكز وبيئاتٍ وتجمعات علمية لدراسة النحو متحدة في الأصول، وليست ذات مناهج وأصول مختلفة، وأن مواقفها مجرد اختيارات واجتهادات أغلبها فردي آحادي حتى بين أفراد الإقليم الواحد، والاتفاق بينها هو الأصل والأظهر.

الكلمات المفتاحية: نظرية - المدارس - المدرسة البصرية - المدرسة الكوفية - تاريخ النحو.

*****

المقدمة:

كلُّنا دَرسَ ودرَّس أن النحو مدارسُ نحويةٌ؛ اثنتان أو أكثر، ذاتُ أصولٍ محددة، وأسسٍ مختلفة، ومناهجَ متباينةٍ، وأنَّ بينَ هذه المدارس افتراقاً واختلافاً إلى حدِّ الصراعِ والتطاحن، لذا فإن نحوَ هؤلاء غيرُ نحوِ أولئك. هذه الصورة تكاد تكونُ فرضيةً مسلَّمةً لدى أكثر الدراسات الحديثة في تاريخ النحو، وأصولِه، وتراجم أعلامِه، وكتب الخلاف، فكلُّها تكرّس نظرية المدارس النحوية، وتجري في سياقِها، وتدور في فلكها، وتتضافر في جعلها حقيقةً لا تقبلُ الشكَّ، ثابتةً لا يعتورها الهزُّ.

ولم أقف إلا على محاولاتٍ من بعض الدارسين المعاصرين محدودةٍ حدّاً، معدودةٍ عدّاً، رفضت التسليمَ بهذه النظرية الشائعة، لكنها جاءت في عباراتٍ إجماليةٍ غيرِ مسبَّبة، وتعليلاتٍ عابرةٍ غيرِ موازيةٍ لشهرة النظرية، ولا كافيةٍ لمجاراتها.

لذا رأيت أن أقف مع هذه النظرية برؤية نقدية قائمة على التتبع والتحليل، ومناقشة حججِ القائلين بها والرافضين لها، وأثرها في الدرس النحوي.

وقد حرصتُ -وأضناني الحرصُ- على أن أتتبعَ ما كُتب في تاريخ النحو وأصولِه، وطبقاتِ النحويين وأخبارِهم، وكتب الخلاف النحوي، والكتب المفردة عن أئمتهم وأعلامهم، فقرأتُ كتبَ التراث في ذلك، وقرأتُ بعضَ ما كتبه المستشرقون، وكثيراً مما كتبه المحدثون العرب، في هذه الفنون في كتبٍ مطبوعةٍ، ورسائلَ محفوظةٍ، مما سيكشف القارئُ مقدارَه، ليس تكثراً -معاذ الله- بل حرصاً على شمولية التتبع، واستقامة المقدمات، لسلامة النتائج. كما وقفتُ وقفاتٍ نقديةً مع دراسات كان لها الصيتُ الذائعُ، والحضورُ الشائعُ؛ فكشفت فيها عن مواطنَ من التناقضِ حيناً والخللِ المنهجي حيناً آخر.

وقد جاءت الدراسة في ثلاثة مباحث: عرضت في أولها موقف الدارسين

المحدثين من النظرية بين القبول والرفض، ثم كشفت في ثانيها عن أدلة بطلان النظرية، وفي ثالثها عن الأثر السلبي للنظرية في الدرس النحوي، ثم خاتمة، فنتائج للبحث. والله أسأل أن يكون البحث إضافة جديدة في تاريخ النحو وأصوله.

التمهيد:

(المدرسة) في اللغة على وزن (مَفْعَلة) من الدرس، «وهي اسم مكان، أي المكان الذي يُدرّس فيه، أو موضع الدراسة والقراءة، ويصاغ اسم المكان على هذا الوزن لقصد الكثرة والتكرار، كما يقال: مجْزَرة، ومصبغَة، ومَطْبَعة، ومَكْتَبة، ويبدو أن استعمال (المدرسة) بهذا المعنى مولّد، لم يجر في كلام الأوائل...، وقد دخل التطور دلالة (المدرسة) في العصر الحديث، فصارت تطلق على الاتجاه والمذهب، ولهذه الدلالة مناسبة للدلالة المذكورة آنفاً، من حيث تتابع الجماعة على الرأي الواحد. وقد عُرّفت (المدرسة) بأنها: جماعة من الفلاسفة أو المفكرين أو الباحثين تعتنق مذهباً معيناً أو تقول برأي مشترك، ويقال: هو (هو من مدرسة فلان) على رأيه ومذهبه»[1].

ولقد بدأ النحو العربي مشروعاً علمياً واحداً على اختلاف في توقيت بدايته ومؤسسه ورائده، والباعث على نشأته. واتفق علماؤه الأوائل في موردهم الذي بنيت منه أسس العلم وجزئياته، ثم بدأت تختلف مواقفهم وتخريجاتهم لهذا المسموع؛ لسعة اللغة العربية، ولأن النحو معقول من منقول، ثم تباينت طرائقهم في التعامل مع هذا المسموع في قياس ما لم يسمع على ما سمع، كأي علم يأخذ حيّز التنظيم والتأليف.

وكان هذا الاختلاف والاجتهاد في المواقف يأخذ شكلاً فردياً بين عالم وآخر، وبين أستاذ وتلميذه، وربما كان هناك موقف ثالث من عالم آخر، وهكذا. وكانت بداية هذه الحقبة بين علماء البصرة أنفسهم، فكان الخلاف يقع بين عبدالله بن إسحاق وعيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء، ثم من بعدهم الخليل وسيبويه، وشاركهما الكسائي من بلدة الكوفة، والفراء

(١) المدارس النحوية، بحث تأصيلي، أحمد مجدي قطب، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٤٤٢هـ ص١، ٢، وينظر كتاب المدارس النحوية، تأليف د. خديجة الحديثي، دار الأمل-الأردن، ط٣، ١٤٢٢هـ، ص٥-٢٣.

من بعد. غير أن الأمر تطور حين مُصّرت بغداد وأصبحت دار الخلافة ومأوى العلماء ومنارة العلم، فانتقل إليها اللغويون والنحويون من البصرة والكوفة والتقوا هناك كغيرهم، فنشأ تجمع من الطلاب حول شيخهم، واشتعلت المنافسة بين العلماء عامة، وفي بلاط الأمراء والخلفاء خاصة، فاحتاج كل عالم أن يبدي ما يفوق به على منافسه، ويعصبه، ويجمع له أنصاره، وظهرت هذه الظاهرة وهذا التنافس المحتدم أظهر ما كانت بين أبي العباس المبرد عالم البصرة، وبين أبي العباس ثعلب عالم الكوفة، فكان انتماء كل واحد منهما إلى بلده الأصلي الذي وفد منه هو عنصر التميز، فصار الواصف للحال ينسب كلَّ واحد منهما إلى البصرة أو الكوفة، وصارت آراؤه تنسب أيضاً للبلد الأصلي، وهذا الواصف قد يكون من كتّاب التراجم والطبقات الذين تناولوا الترجمة إما على حسب التسلسل الزمني أو على حسب نسبة العالم إلى موطنه وبلده الأصلي، فيقال: علماء البصرة وعلماء الكوفة، ولكنهم مع ذلك يعنون بذلك تمييزاً بين العلماء والأشخاص، وليس تمييزاً بين العلم والمعلوم. «فالقدماء اعتمدوا في تقسيمهم النحاة والتمييز بينهم النسبة إلى المدينة أو البلد، ولم يجمعوهم عند الترجمة لهم تحت (مدرسة) أو (مذهب)»[1]، حتى جاء بعض الدارسين المحدثين وصنفوا هذا الخلاف في مسائل الفروع على أنها اختلاف في المناهج والأصول والأسس، ومن ثمّ راجت فكرة تقسيم الفكر النحوي إلى مدارس نحوية ذات طابع منهجي مختلف، وتحولت إلى نظرية تناقلتها كتب تاريخ النحو الحديث وأصول النحو، وتراجم الأعلام بشكل متداول ومتناقل في الكتب والبحوث والمدارس والجامعات، على أنها مسلمة تاريخية ومنهجية لازمة ثابتة في الفكر النحوي، إلا ما لقيته هذه النظرية وهذا التقسيم من رفض ثلة قليلة من الباحثين.

(١) المدارس النحوية، تأليف د. خديجة الحديثي، ص٢٣.

ويمكن تصنيف مواقف الدارسين تجاه نظرية المدارس بين التأييد والرفض في خمسة اتجاهات على النحو الآتي[1]:

الأول: اتجاه من يرون وجود مدرسة بصرية فقط، ولا وجود لشيء اسمه المدرسة الكوفية.

الاتجاه الثاني: اتجاه من يرون وجود مدرسة بصرية يقابلها مدرسة كوفية، لكن لا مقارنة ولا مقاربة بين المدرستين في قوة المنهج وسلامة أصوله واكتمال بنيانه.

الاتجاه الثالث: اتجاه من يرون وجود مدرستين بصرية تقابلها مدرسة كوفية، فهما مدرستان ذواتا مناهج متباينة وأصول مختلفة، لكل منهما قوته وتميزه، كما له عيوبه ومآخذه.

الاتجاه الرابع: اتجاه من يرى تعدد المدارس النحوية بأكثر من مدرستين، وأنها ممتدة إلى المدرسة البغدادية والأندلسية والشامية والمصرية.

الاتجاه الخامس: اتجاه من يرفضون فكرة المدارس النحوية مطلقاً، ولا يرون تصنيف الآراء النحوية الإقليمية على أنها مدارس، فلا يرون وجوداً للمدارس النحوية في الإرث العربي.

ونلحظ أن الاتجاهات الأربعة الأول متفقة في إثبات أصل النظرية مختلفة في تقويم حقيقة هذه المدارس وقوتها ودرجة التكافؤ بينها، وهي المتداولة في كتب المحدثين وبحوثهم الجامعة والشخصية.

وسيجري البحثُ النقاشَ معهم في مباحثه على أنهم اتجاه واحدٌ يؤمن بنظرية المدارس واختلاف منهاجها وأسسها أصولها فضلاً عن فروعها.

(١) ذكرتها هنا دون إسناد أو ذكر القائلين، تحاشياً للتكرار إذ سيرد ذكرهم والإحالة على كتبهم في موضعه في المبحث الأول.

المبحث الأول:

موقف الدارسين المحدثين من نظرية المدارس النحوية

أولاً: موقف القائلين بنظرية المدارس النحوية:

ذهبت الكثرةُ الكاثرة والثلة الغالبةُ من الدارسين المحدثين إلى التسليم بفكرة المدارس النحوية، وتصنيف الإرث النحوي إلى مدارسَ ذات خصائص وسمات خاصة بكل مدرسة مختلفة عن الأخرى، فتحوّل الأمر عندهم من كونه اختلافاً بين (أهل البصرة وأهل الكوفة) أو بين (البصريين والكوفيين) في بعض المسائل الخلافية من مسائل الفروع ليصبح هناك (نحو بصري) يقابله (نحو كوفي) و(مدرسة بصرية) تقابلها (مدرسة كوفية). فالفكر النحوي عند هؤلاء عبارة عن مدارس نحوية لكل منها منهج خاص له أسسه وخصائصه في الأصول والفروع.

ولقد سار عددٌ كبيرٌ من الدارسين المحدثين على نظرية المدارس النحوية بهذا المفهوم في تناولهم لتاريخ النحو وأصوله وترجمة أعلامه.

ومن أبرزهم المستشرق الألماني جوتولد فايل[(١)]، وبروكلمان[(٢)]، وجوستاف فلوجل[(٣)]، ويوهان فك[(٤)]، وأحمد أمين[(٥)]،

(١) ينظر: أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة. د. أحمد مكي الأنصاري. مطبوعات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب-القاهرة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م. ص٣٥٤، والدرس النحوي في بغداد، تأليف: د. مهدي المخزومي، دار الرائد العربي-بيروت، ط الثانية ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م. ص١٠٢، ١٩٣، نقلاً من مقدمة الإنصاف بتحقيق المستشرق فايل، ولم أجده.

(٢) ينظر: تاريخ الأدب العربي، ألفه بالألمانية: كارل بروكلمان، ترجمة عدد من الباحثين، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتب بدون ط، ١٩٩٣م. ٢/ ٤٤٥، ٤٥٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٤٩.

(٣) ينظر: البحث اللغوي عند العرب، الدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب –القاهرة- ط السابعة ١٩٩٧م. ص١٣٤، والمدارس النحوية، بحث تأصيلي ص٦، والدرس النحوي في بغداد ص١٩٣.

(٤) ينظر: العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب. تأليف: يوهان فك، ترجمة د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي- بدون ط. القاهرة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م. ص٥٩-٦١، ٧٥.

(٥) ينظر: ضحى الإسلام، نشأة العلوم في العصر العباسي، أحمد أمين، الهيئة العامة للكتاب-مصر، بدون ط، ١٩٩٨م. ٢/ ٢٨٣، ٢٩٤، وما بعدها.

وسعيد الأفغاني[١]، ومحمد طنطاوي[٢]، وشوقي ضيف[٣]، وعلي فاخر[٤]، ومحمود نحلة[٥]، وعلي النجدي ناصف[٦]، وخديجة الحديثي[٧] وعبدالرحمن السيد[٨]، وعبدالفتاح شلبي[٩]، وغيرهم كثير[١٠].

(١) ينظر: من تاريخ النحو، سعيد الأفغاني، دار الفكر-دمشق، ط الثانية ١٣٩٨هـ. ص٤٥، والكتاب كله قائم على هذه الفرضية.

(٢) ينظر: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، محمد طنطاوي ، ط الثانية ١٣٨٩هـ. ص١٠٦،٣٣- ١٣٧ .

(٣) ينظر: المدارس النحوية. د. شوقي ضيف، دار المعارف – القاهرة – ط السابعة. بدون ت. والكتاب كله قائم على فكرة تعداد المدارس النحوية. وقد زعم المؤلف في ص٥ أنه أول من بحث في المدارس النحوية بحثاً جامعاً. إلا أن الدكتور محمد البنا قد ردّ هذا الزعم، بأن كتاب نشأة النحو للشيخ محمد طنطاوي قد سبق كتاب ضيف بثلاثين سنة! ينظر بحث بعنوان: كتاب المدارس النحوية لشوقي ضيف، نقد الدكتور محمد إبراهيم البنا، مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي، جامعة الملك عبدالعزيز المجلد ع٥، عام ١٩٨٢م، ص٥٨٦.

(٤) ينظر: تاريخ النحو العربي من نشأته حتى الآن ص٤٩- ٥٩.

(٥) ينظر: أصول النحو العربي، د.محمود أحمد نحلة، دار العلوم العربية -بيروت، ط الأولى١٤٠٧هـ. ص٦٠، ٦٥، ٧٠، ١٠٨.

(٦) ينظر: المدارس النحوية، بحث تأصيلي، أحمد مجدي قطب،. ص١٤.

(٧) ينظر: كتاب المدارس النحوية للحديثي ص٥، ٢٣، ١١٦، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٧.

(٨) ينظر: مدرسة البصرة النحوية نشأتها وتطورها. د. عبدالرحمن السيد، دار المعارف-مصر، ط الأولى. ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م. ص: ١٤٥، ١٤٦، ٢٢٨، ٢٥٠-٢٥٣.

(٩) ينظر: أبو علي الفارسي، د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار المطبوعات -جدة، ط الثالثة، ١٤٠٩هـ. ص١٠٦، ٤٤٠- ٤٤٦.

(١٠) منهم د. محمد صبرة في كتابه: ثمرة الخلاف بين البصريين والكوفيين. د. محمد حسنين صبرة، دار الهاني للطباعة- القاهرة. بدون ط.١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م. ص٧، ١٢، ٢٩، و، د. جميل علوش في كتابه: ابن الأنباري وجهوده في النحو. د. جميل علوش، الدار العربية للكتاب، ليبيا ١٩٨١م. ص٢٣٥-٢٩١، و. محمد كنتاوي في بحثه: السماع بين البصريين والكوفيين، مقارنة في المنهج، المدرسة العليا للأساتذة، العدد ١١، نوفمبر ٢٠١١م، الجزائر. ص١٤٥، والدكتور محمد خليفة الدناع، بحث: رأي في المدارس النحوية. في مجلة قاريونس العلمية، المجلد: س١،ع١. ص ٦١-٧٨. وبن ساسي بلقندوز في بحثه المصطلح النحوي بين البصرة والكوفة: دراسة وصفية مقارنة، منشور في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة جيلالي ليباس الجزائر. مجلد١١، مايو ٢٠٢١م. ص٤١٠. ود. عبدالله الكيش في كتابه: أثر القرآن في أصول مدرسة البصرة النحوية حتى أواخر القرن الثاني الهجري ، د. عبدالله محمد الكيش ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية – طرابلس ليبيا، ط الأولى ١٤٠١هـ. و. د. جعفر عبابنة في كتابه مكانة الخليل بن أحمد في النحو العربي. دار الفكر- عمّان. ط الأولى.١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م. ص٥٢، و.د. عبد الهادي الفضلي، في كتابه: مراكز الدراسات النحوية، مكتبة المنار. الأردن/ الزرقاء، ط الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م. ص٣٧، ٤٦.

يقول يوهان فك: «كان لعلماء البصرة مذاهب معتمدة في القياس النحوي تختلف عن مذاهب الكوفيين، كما سلك كل قبيل في تفسير الظواهر اللغوية في الغالب مسلكاً مختلفاً»[١].

ويقول أحمد أمين: «وأياً ما فقد اختلفت مدرسة الكوفة عن مدرسة البصرة في مبادئ أساسية»[٢].

وتحدثت خديجة الحديثي عن جهدها في كتابها المدارس النحوية، وأنها: «عرضت فيها لحقيقة المدارس النحوية أو المذاهب النحوية، وانتهيت إلى أن تلك حقيقة لا تنكر وإن اختلفت الأسماء»[٣].

وهؤلاء مع حماسهم لفكرة المدارس النحوية، يرون أنها مدارسُ غيرُ متكافئةٍ ولا متماثلة، فالتميز والتفوق وصحة النظر والاستدلال إنما هو للمدرسة البصرية.

فهذا شوقي ضيف بعد أن قرر تحت عنوان (النحو الكوفي يشكل مدرسة مستقلة) إثبات مفهوم المدرسة للكوفيين يرى أنهم عجزوا عن مجاراة البصريين؛ لنقص فهمهم مما أحدث في نحوهم اختلاطاً وتشويشاً[٤]، فهم «استطاعوا أن يكوّنوا لهم مدرسة نحوية مستقلة، لا ترقى حقاً إلى منزلة المدرسة البصرية، ولكنها على كل حال مدرسة بينة المعالم واضحة القسمات والملامح»[٥].

وفريقٌ من هؤلاء يغالي في الأمر، فيرى أن مصطلح (مدرسة) يجب أن يقتصر على المذهب البصري فقط، أما المذهب الكوفي فلا يصل بوضوح معالمه وانتظام منهجه إلى أن يطلق عليه مدرسة. يتمثل ذلك في مقالات المستشرق الألماني

(١) العربية ص٦٩.
(٢) ضحى الإسلام ص٢٩٤.
(٣) المدارس النحوية، د. خديجة الحديثي، ص٥.
(٤) ينظر المدارس النحوية ص١٥٥، ١٦١-١٦٣.
(٥) المدارس النحوية ص١٧١.

جوتولد فايل، حيث يقول: «ومع عظيم الإجلال لمناقبهم (يعني الكوفيين) في غير ذلك من النواحي، فإنهم لم يؤسسوا مدرسة نحوية خاصة»[(١)].

ويضاف إلى هؤلاء القائلين بالنظرية قائلون بها آخرون، يشاركونهم في الحماس لفكرة المدارس النحوية، لكنهم يفترقون عنهم باختلاف تقييمهم لهذه المدارس، فينظرون إلى المدرسة الكوفية نظرة إجلال وتقدير رافضين الصورة التي رسمها عنها أصحابُ الاتجاه الأول، فهي عندهم تقف مع المدرسة البصرية موقف الندِّ للندّ، وهما في الدرس النحوي أصوله وفروعه كفرسي رهان، وأن النحو منه بصريٌّ ومنه كوفيٌّ، وبينهما اختلاف وافتراق.

وهذا يتجلى في دراسات أمين الخولي[(٢)]، وعباس حسن[(٣)]، ومهدي المخزومي[(٤)]،

(١) ينظر: المدارس النحوية، ضيف ص١٥٥، والمدرسة الكوفية ص٣٥١. وقد يفهم من كلامه هذا أنه من الرافضين لفكرة المدارس، ولكن الواقع أنه يتحمس لإثبات المدرسة البصرية وأنها ذات أسس خاصة، أما الكوفيون فهم يخالفون البصريين لكن ليس على منهج واضح وأسس ثابتة.

(٢) ينظر الخلاف بين النحويين، د. السيد رزق الطويل، ط١، مكة، المكتبة الفيصلية، ١٤٠٥هـ. ص٤٦٠، والمدرسة الكوفية ص٣٥١ نقلاً عن بحث: الاجتهاد في النحو العربي ص١٣.

(٣) الخلاف بين النحويين ص٤٦١، نقلاً من: رأي في بعض الأصول النحوية ص٣٤.

(٤) ولهذا سمى كتابه المعروف بـ (مدرسة الكوفة ومنهجها في اللغة والأدب). قال عنه مصطفى السقا: «يمتاز أنه أجمع بحث لتاريخ النحو الكوفي منذ نشأته وزمان قوته... وكل راغب الآن في تتبع حركة النحو الكوفي منذ نشأته في القرن الثاني إلى نهاية القرن الرابع الهجري أو بعدها بقليل، لا يجد مرجعاً أوفى ولا تاريخاً أشمل وأدق من هذا البحث الذي خدم به مهدي المخزومي اللغة العربية أجل خدمة وأحقها بالذكر، ومن أهم مزاياه أنه أنصف مدرسة الكوفة النحوية إنصافاً علمياً لم يعهد له نظير من قبل في كتب تاريخ النحو». مقدمة الكتاب ص ب. ومع ذلك فإن الدكتور المخزومي بدا في كتابه الآخر (الدرس النحوي في بغداد) وكأنه معارض ومناقض لنسبة المدرسة الكوفية، فهو يرى «أن اسم الكوفيين لم يعرف إلا في القرن الرابع، وأن الكوفية اسم اخترعه البغداديون الذين أخذوا بمذهب البصريين، وسمّوا أنفسهم بالبصريين تمييزاً لأنفسهم عن مخالفيهم من البغداديين الذين أخذوا بمذهب البغداديين الأوائل. أما الكسائي والفراء وثعلب وأصحابهم وتلاميذهم فلم يسموا بالكوفيين، لم يسمّوا هم أنفسهم بهذا الاسم، ولم يسمّهم البصريون الأوائل به أيضاً. لأن الكوفة مصراً، لم تعرف درساً نحوياً مستقلاً يقف بإزاء الدرس البصري، ولم تكن منافسة للبصرة في الدرس اللغوي عامة، والمصر الذي وقف ينافس البصرة هو بغداد... وهو الدرس الذي سمّي فيما بعد وفي غضون القرن الرابع بالدرس الكوفي، وسُمّي حملته والداعون إليه بالكوفيين، ولم تخلص الكوفية لاتباع البغداديين الأوائل إلا في العصور المتأخرة» ص

وأحمد مكي الأنصاري[١]، وعبده الراجحي[٢]، والسيد رزق الطويل[٣] وتمام حسان[٤]، والمختار أحمد ديره[٥]، وعبدالله الخثران[٦]، وعبد الفتاح الحموز[٧]، وغيرهم[٨].

يقول مهدي المخزومي: «وشرعت الكوفة -منذ أوائل القرن الثاني للهجرة تقريباً- تنشئ لنفسها مدرسة، وترسم لها منهجاً جديداً، له طابع خاص»[٩].

---

٨. ولا أدري هل هذا تحوّل في الفكرة عند الدكتور المخزومي سببه ما رأى من تحمّس آخرين للمذهب البغدادي ونسبة الفراء إليه وأنه هو المؤسس الحقيقي للمذهب البغدادي، فكأن المخزومي رأى أبرز مقومات قوة المذهب الكوفي تسلخ منه وتنسب إلى المذهب البغدادي، فرأى أن يقطع الطريق عليهم ويتبنى أن البغداديين لدى القدماء هم الكوفيون.

(١) ينظر كتابه: أبو زكريا الفراء ص٣٥١. وما بعدها.

(٢) ينظر: دروس في المذاهب النحوية، د. عبده الراجحي. دار النهضة العربية- بيروت. بدون ط ١٩٨٠م. ص١٢.

(٣) الخلاف بين النحويين ص٧٥، ٩١، ٩٥، ١١٠، ١١٣- ١٤٨، ١٦٢، ١٧٠، ٤٦٤، وبقية الكتاب.

(٤) ينظر: الأصول دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة ١٤٢٠هـ. ص٤٢.

(٥) ينظر: دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء، المختار أحمد ديره، دار قتيبة – بيروت، ط الأولى١٤١١ه.ص٤٠، ٤١، ٤٦، ٤٧، ٤٩، ٥١ وغيرها.

(٦) ينظر: ظاهرة التأويل في الدرس النحوي، د.عبد الله الخثران، النادي الأدبي-الرياض، ط الأولى ١٤٠٨ه. ص٩، ٣٩، ٤١ ومصطلحات النحو الكوفي، دراستها وتحديد مدلولاتها، د. عبد الله الخثران، دار هجر- مصر الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

(٧) ينظر :الكوفيون في النحو والصرف والمنهج الوصفي المعاصر. د. عبد الفتاح الحموز. دار عمار-عمّان. ط الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٨) ينظر: مرويات نحاة الكوفة إلى نهاية القرن الثالث الهجري وأثرها في النحو والصرف. د. إبراهيم المطرودي، مطبوعات جامعة الإمام-الرياض. ١٤٣٨هـ. والمصطلحات والأصول النحوية في كتاب إيضاح الوقف والابتداء في القرآن الكريم لأبي بكر الأنباري وعلاقتها بمدرستي الكوفة والبصرة، عبد الوهاب الغامدي، ماجستير-جامعة أم القرى، مكة. ومصطلح النحو الكوفي تصنيفاً واختلافاً واستعمالاً، د. حمدي جبالي، رسالة ماجستير-جامعة اليرموك، إربد، بدون ط ت. وأسس التنظير عند الكوفيين، لزهر العمراوي، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر،١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م. والمعيارية عند الكوفيين في الحكم على المسموع والقياس عليه، د. عبد العزيز الزمام، رسالة دكتوراه، جامعة القصيم١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م.

(٩) المدرسة الكوفية ص٣٩. وينظر المقدمة هـ وينظر ص٧٩-٨١.

ومن أشدِّهم نصرةً لهذه المدرسة: السيد الطويل، حيث توصل إلى أنه «يعد هذا تأكيداً آخر لا لوجود مدرسة كوفية بل لقوة منهج هذه المدرسة وقربه من روح البحث اللغوي ومناهج الدرس الحديث للغات»[(١)].

وبعضُ أصحاب نظرية المدارس النحوية امتدَّ حماسُهم لفكرة تعداد المدارس بجعل المدارس ثلاثاً؛ بإضافة المدرسة البغدادية، كما فعل بروكلمان[(٢)]، ويوهان فوك[(٣)]، وأحمد أمين[(٤)]، وشوقي ضيف في بعض كتاباته[(٥)]، وأحمد مكي الأنصاري[(٦)]، وعوض القوزي[(٧)] وغيرهم[(٨)].

وبعضُهم الآخر يعدُّ المدارسَ أكثر من ذلك، حسب الأقاليم؛ فيجعل هناك المدرسةَ الأندلسيةَ والشامية والمصرية وغيرها، وربما أوسع من ذلك[(٩)].

قال شوقي ضيف: «الحق أن مدرسة البصرة هي التي شادت كما أسلفنا، بناء النحو الشاهق، وقد تسلمت منها مدرسة الكوفة، ثم المدرسة البغدادية، ما خلفها من المدرستين الأندلسية والمصرية، هذا البناء كاملاً،

(١) الخلاف بين النحويين ص٤٧١. وينظر ص١٣٩، ٤٦٤.
(٢) ينظر كتابه تاريخ الأدب العربي٢/ ٤٤٥، ٤٥٠، ٥٢١، ٥٤٩.
(٣) ينظر كتابه العربية ص٧٦.
(٤) ينظر ضحى الإسلام ص٢٩٨، ٣١٢.
(٥) ينظر مقدمته لكتاب الإيضاح في علل النحو للزجاجي ص أ، ب. والمدارس النحوية ص١٥٠.
(٦) ينظر مواضع من كتابه: أبو زكريا الفراء، فقد قرر أن الفراء هو المؤسس الحقيقي للمدرسة البغدادية.
(٧) ينظر: المصطلح النحوي نشأته وتطوره، د. عوض القوزي-جامعة الرياض ط الأولى، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م. ص١٥٤، ١٦٠.
(٨) ينظر: المدارس النحوية، بحث تأصيلي، قطب، ص١٥. وأبو عليّ الفارسي د. شلبي ص٤٤٦.
(٩) ينظر كتاب المدارس النحوية، ضيف، ص١٥٠، والمدارس النحوية، الحديثي، ص٦، والمصطلح النحوي، القوزي، المقدمة ط. والبحث اللغوي عند العرب، أحمد مختار ص١٣٤-١٣٦، والمدارس النحوية، قطب، ص١٥. والمدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن من الهجرة، د. عبد العال سالم مكرم. مؤسسة الرسالة-بيروت. بدون ط. ت. والدرس النحوي في بغداد، المخزومي ص١٨٦. ومدرسة البصرة النحوية، السيد ص٤٢٢، وأسس التنظير عند الكوفيين، العمراوي، ص١٣، واختلاف الآراء النحوية بين مدرسة البصرة والكوفة، دراسة وصفية تحليلية، محمد معروف، ص٢٢.

ومضت كل مدرسة تحاول أن تدخل على هذا البناء من الإضافات ما يتيح لها أن تكون ذات منهج جديد»[1].

وعلى الرغم من أن هؤلاء يذكرون سماتِ كلِّ مدرسة وأصولَها وأعلامَها وبدايةَ نشأتها بالتفصيل فإني لم أقف على تدليلٍ واضح أو تعليلٍ مقنع لدى هؤلاء لتمسكهم بالقول بنظرية المدارس النحوية، فكلُّ ما وقفت عليه عندهم عبارات وإشارات تشي بجزمهم بالأمر بأنه واقعٌ مسلّم به لا يقبل التشكيك، وربما استدل بعضهم بمؤشرات وأمارات يذكرها لماماً يمكن لمحها، ومن ذلك:

١. استدلالهم بعبارات لدى كتب الطبقات والتراجم تشي بانحياز أحد الفريقين إلى فئته، وتصنيفهم ونسبتهم إلى هاتين البلدتين، مما يعني أن كلَّ بلدة لها مدرسة نحوية خاصة بها.

٢. استدلال بعضهم بالنهج الذي يذكره بعضُ الفريقين عن بعضٍ في قضايا السماع والقياس، حيث يثبت ذلك أنهم على طريقتين مختلفتين ذواتي أصول متباينة.

٣. استدلالُ بعضهم بكثرة الخلافات النحوية بين الفريقين التي أفردت لها كتبٌ معروفة، وأن الكوفيين حريصون على أن يكون لهم في كلِّ مسألة رأيٌ مخالِفٌ للبصريين، مما يدل على أنهم يؤسسون لمدرسة مستقلة.

٤. أن جنوحَ الكوفيين لابتداع مصطلحات نحوية خاصة بهم يدل على أنهم يرسِّخون علماً مستقلاً.

يقول محمد طنطاوي: «تكوَّن على يد الإمامين الخليل ومن معه من البصريين، والرؤاسي ومن معه من الكوفيين، بكلٍّ من البلدين مدرسةٌ

(١) ينظر كتاب المدارس النحوية، شوقي ضيف ١٥٠.

خاصةٌ لها علمٌ تنحاز إليه كل فرقة»[1]. ثم ذكر «سعة الفجوة بين الفريقين في مسلكيهما»[2].

ويقول السيد رزق الطويل: «طيلة هذه القرون الثمانية التي تناولنا فيها تقويم أعلامها للخلاف النحوي ظهرت كتب كثيرة ترجمت للنحاة وأجمعت على أن هناك مدرستين: إحداهما بصريةٌ والأخرى كوفيةٌ»[3]، وأن «اختلاف المنهجين كان له آثارٌ مختلفة ومتنوعة»[4].

ثانياً: موقف الرافضين لنظرية المدارس النحوية:

تنفصل فئةٌ قليلةٌ من الدارسين عن سابقيهم في موقف الرفض لنظرية تصنيف الإرث النحوي على مدارس متعددةٍ مختلفة، فيرون أن النحو العربي نحوٌ واحدٌ بأصولٍ متحدةٍ وفروعٍ متعددة، ولا يعدو أن تكون نسبةُ النحاةِ إلى بلدانهم بصفتها «أماكن دراسية متعددةً لنحو عربي واحد في قواعده العامة وأصوله الكلية»[5]، شيّده علماءُ متحدون بالتوجهات، متفرقون بالجهات، في أقاليم متعددة، كان لكلٍّ منهم اجتهادٌ شخصي، وبينهم اختلافٌ معدودٌ في بعض المسائل كما هي الحال في بقية العلوم الإسلامية، بل الإنسانية، وما اتفقوا فيه أكثرُ مما اختلفوا فيه، وأنَّ هناك أئمةً أعلاماً في البصرة ومثلَهم في الكوفة، قد نشأ بينهم كما بين أي إقليمين متجاورين من التنافسِ حتى يومنا هذا، لكن ذلك لم يكن ليتيحَ لكلِّ بلدة وإقليم أن ينفرد بنحوٍ مختلفٍ عن الآخر مطلقاً، بل ظل «الاتصال العلمي بين المصرين مستمراً يتمثل في تناقل الكتب وتزاور الأعلام وعقد المجالس وشهود المناظرات»[6].

(١) نشأة النحو ص٣٣. وينظر ص١٢٧-١٣٣.
(٢) نشأة النحو ص١٣٣. وينظر المصطلح النحوي، القوزي. المقدمة م.
(٣) الخلاف بين النحويين ص٤٥٧.
(٤) المصدر السابق ص٥٦٦. وساق نماذج على هذه الآثار التي ترتبت وإذا هي ليست بذات بال، وأكثرها تفسير ظواهر فحسب.
(٥) بحث: نفي التعددية في المدارس النحوية. د. محمود أبو كتة، مجلة جامعة بيت لحم، العدد ٩، ١٩٩٠م.
(٦) الخلاف بين النحويين ص٨٩.

ومن هؤلاء القلّة الذين رفضوا نظريةَ المدارس النحوية عليٌّ أبو المكارم[1]، ومحمد خير الحلواني[2]، وإبراهيم السامرائي[3]، وأحمد مختار

(١) يظهر ذلك نصاً في كتبه: تاريخ النحو العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري، د. علي أبو المكارم، القاهرة الحديثة للطباعة-القاهرة، ط الأولى١٣٩١م. ص١٢١- ١٢٣، ومدخل إلى تاريخ النحو العربي وقضايا ونصوص نحوية، د. علي أبو المكارم، دار غريب- القاهرة، بدون ط. ٢٠٠٨م. ص١٢٠، ويظهر ذلك تطبيقاً في كتابه: تقويم الفكر النحوي، دار غريب-القاهرة. بدون ط ٢٠٠٥م، وأصول التفكير النحوي، دار غريب-القاهرة، بدون ط٢٠٠٧م، حيث لم يفرّق فيها بين البصريين والكوفيين مطلقاً بل قسّم المراحل حسب الزمان والتطور الفكري والبحث العلمي.

(٢) ينظر: الخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين وكتاب الإنصاف. د. محمد الحلواني. دار القلم العربي- حلب- بدون ط ت.

(٣) ينظر: المدارس النحوية: أسطورة وواقع. د. إبراهيم السامرائي، دار الفكر. عمان ط١. ١٩٨٧م. وبحث: ألنا مدارس نحوية؟ د. إبراهيم السامرائي بحث منشور في: مجلة مجمع اللغة العربية الأردني مج٦،ع٢٢، ٢١.

وأول ما يبدو لمن يسمع بعناوين بحوث الدكتور السامرائي بحث (المدارس النحوية: أسطورة وواقع) وبحث (ألنا مدارس نحوية؟) يجزم بأن الكاتب يرفض نظرية المدارس النحوية بتاتا، إلا أن الواقع أن المؤلف كتب هذين البحثين رداً على حماسة الدكتور مهدي المخزومي لإثبات صفة المدرسة إلى الكوفيين، والواضح من البحثين أنه لا يعنيه نقض النظرية برمتها كبقية المنتظمين في هذا الاتجاه – وإن كان يمر عليه لماماً- بقدر ما يعنيه نقض أن يصل الكوفيون إلى مستوى المدرسة المستقلة. فهو يثبت أن الكوفيين ليس لديهم من التميز العلمي ولا المقومات المنهجية التي تجعلهم بصف البصريين أو يقاربونهم.

وقد صرّح السامرائي تحت عنوان (ما بعد الخاتمة) في كتابه المدارس النحوية: أسطورة وواقع ص١٥٧- بكل ملابسات الوقائع بينه وبين المخزومي مؤلف كتاب: (المدرسة الكوفية). حيث إن السامرائي قد كتب بحثاً بعنوان: ألنا مدارس نحوية؟ نشره في مجلة المجمع اللغوي الأردني سار فيه على طريقته من نقد الكوفيين والتقليل من نتاجهم العلمي والتأليفي مع عدم التصريح بأي كتاب أو كاتب معاصر. فما كان من المخزومي إلا أن يرد عليه «فكتب مقالة وكأنه قد غمس قلمه في الخل. بأسلوب قاس مغاضباً شديداً متهجماً غامزاً لامزاً» وأنه سماه بصفات غير مناسبة – كما يقول السامرائي ص١٦٠ –فما كان من السامرائي إلا أن شرع في كتابه (المدارس النحوية: أسطورة وواقع) وهو لم يذكر في البحثين أي اسم من الباحثين أصحاب النظرية لا المخزومي ولا غيره، ولكن النَّفَس واضح جداً أن الكلام يتجه إلى المخزومي. غير أنه في مبحث (ما بعد الخاتمة) من هذا البحث صرّح بكل شيء، فقطع الشك باليقين والتلميح بالتصريح، والمفهوم بالمنطوق. هذه ملابسات البحثين وما دار بين الدكتورين، وكلاهما محلُّ احترام وتقدير من الدارسين فجهودهما كفيلة بالدفاع عنهما. لكني كنت أتمنى أن السامرائي اتجه إلى نقض النظرية بشكل عام من أساسها ببيان ضعفها في المنهج العلمي وبيان آثارها دون الحاجة إلى أن يحاول إبطالها من خلال إنقاص الكوفيين ونقض مكانتهم ونتاجهم، وبخاصة أنه يعتمد في كثير من نقده على تطبيقات الأنباري في كتابه الإنصاف اعتماداً كبيراً وسلم له القياد. (ينظر رأيه فيه ص١٦٩)، وهو لا يستقيم مادة للحكم لعدم ثبوت آراء الفريقين فيه بدرجة كافية، كما سيأتي في ثنايا هذا البحث.

عمر[١]، ومحمود أبو كتة[٢]، ومنيرة القنوني[٣]، وإبراهيم الشمسان[٤]، وقيس الأوسي[٥].

قال علي أبو المكارم: «وتأثير الخليل ليس قصراً على تلاميذه البصريين وحدهم كما يتصور كثير من النحويين، وكما يزعم بعض المؤرخين، وربما عاد هذا الوهم في إدراك هؤلاء وأولئك إلى تلك القضية الشائعة التي لا ترتكز على أساس علمي، وهي قضية الاعتراف بتعدد المدارس النحوية، وما يسلم إليه هذا الاعتراف من الإقرار بوجود فروق منهجية بينها... وهذا كله ناتج عن خطأ في تحديد مضمون الفروق بين الاتجاهات النحوية فيما يمكن أن يصطلح عليه -بدقة- بالتجمعات المدنية في البحث النحوي، إذ وجود تجمعات نحوية في البصرة والكوفة، ثم في بغداد ومصر والأندلس، لا يسلم بالضرورة إلى القول بتعدد مناهج هذه التجمعات وتباينها، بل إن اختلاف الآراء بين أصحاب هذه الاتجاهات لا ينبغي أن يؤدي إلى الاعتراف بتنوع مناهجها وتغايرها، إذ من الممكن أن يكون هذا الاختلاف ناشئاً عن تنوع أساليب التطبيق لنظرية واحدة، كما يمكن أن تعود تلك الفروق بين العلماء إلى نوع من التقارب الفكري أو إلى اختلاف في المادة المحصلة، دون أن يكون للمنهج كبير تأثير فيما بين النحاة من اتفاق وما ينشب بينهم من خلاف»[٦]. ووصف النظرية بـ» الوهم والأسطورة،

(١) ناقش ذلك في مبحث بعنوان: هل وُجدت مدارس نحوية عند العرب؟ في كتابه: البحث اللغوي عند العرب، الدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب –القاهرة- ط السابعة ١٩٩٧م. ص١٢٨-١٣٤.

(٢) ينظر بحث: نفي التعددية في المدارس النحوية. ص٤١.

(٣) نشأة النحو العربي، د. منيرة القنوني، دار الكتب العلمية ط.١. ١٤٣٥هـ. ص٣٦.

(٤) في مقال صحفي بعنوان: (ليس لنا مدارس نحوية)، صحيفة الجزيرة السعودية السبت ٢٧/ إبريل/ ٢٠١٩م.

(٥) ينظر: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، د. قيس إسماعيل الأوسي، جامعة بغداد، بدون ط.١٩٨٨م. ص٥٧، ٥٨.

(٦) تاريخ النحو العربي، د. أبو المكارم ص١٢١- ١٢٣، ومدخل إلى تاريخ النحو العربي وقضايا ونصوص نحوية ص١٢٠.

مؤكداً أن منهج الدراسة النحوية واحد، وأن أصوله متفق عليها بين النحاة، فلا مدارس في النحو»[1].

ويرى محمود أبو كتة «أن هذه المدارس إنما هي واقع الأمر وطبيعة الحال أماكن دراسية متعددة لنحو عربي واحد في قواعده العامة وأصوله الكلية وجميع أبعاده الشكلية والنظرية»[2].

ففكرة تقسيم النحو إلى مدارس ما هي إلا فرضية يصعب البرهنة على وجودها، قال بها أكثر المحدثين متأثرين بكتب الطبقات، وهو في النهاية تصنيف رجال وليس للعلم والمعلوم[3].

فهؤلاء المعاصرون «قد غلوا في مصطلح (المدرسة) في الكلام على الاختلاف بين البصريين والكوفيين»[4].

والذي يميل إليه الباحثُ ويجزمُ به بطلانُ نظريةِ المدارسِ النحوية، وعدمُ واقعيتها، بل هي تقليدٌ سقيمٌ من المحدثين لمن سبقَهم من المستشرقين، واستنساخٌ غيرُ موفقٍ من المدارس الفكرية والفلسفية في بعض مجالات العلم والأدب، كان له أثرٌ سلبيٌ في النحو والنحاة، كما سيتم عرضه في المبحثين القادمين.

(١) المدارس النحوية، بحث تأصيلي، أحمد مجدي قطب. ص١٢.
(٢) نفي التعددية في المدارس النحوية. ص٤١.
(٣) ينظر نشأة النحو العربي، د. منيرة القنوني. ص٣٦.
(٤) المدارس النحوية: أسطورة وواقع. ص٧.